﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عقَّب ﷻ ما يدلُّ على استجابة دعائه بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾، ولا شكَّ أنَّ الحصول في التَّيه، والمنع من الدُّخول في الأرض المقدَّسة، من أشدِّ البلاء، ولولا اشتمال دعائه على الدُّعاء عليهم لم يحسن هذا التَّرتيب[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾: "الحاءُ والرَّاءُ والميمُ: أصلٌ واحدٌ، وهو المنع والتَّشديد، فالحَرامُ: ضِدُّ الحَلال"[2]، والحُرْمةُ: ما لا يَحِلُّ لكَ انتهاكُه[3]، والحرام: الممنوع: إمَّا بتسخير إلهيٍّ، وإمَّا بشريٍّ، وإمَّا بمنع قهريٍّ، وإمَّا بمنع من جهة العقل أو من جهة الشَّرع، أو من جهة من يرتسم أمره[4].

والأشهر الحرم؛ لكونها ممنوعًا فيها القتال في الجاهليَّة، وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذَّاريات: 19]؛ أي: الممنوع من رزق وُسع به على غيره[5]، ومعنى ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ في الآية: ممنوع عليهم دخولها.

2) ﴿يَتِيهُونَ﴾: "التَّيْهُ والتَّوْهُ، لغتان، يقال: تاه يَتِيهُ تَيْهًا، وتاه يتوه توهًا، والتَّيْهُ أعمُّ من التَّوه، ويقال: تَوَّهْتُه، وتَيَّهْتُه، والواو أعمُّ"[6]، "وتاه في الأَرْض تَيْهًا وتِيهًا وتَيَهانًا، وَهُوَ تَيَّاهٌ: ضَلَّ"[7]، وتحيَّر، وتكبَّر[8]، ومعنى ﴿يَتِيهُونَ﴾ في الآية: يسيرون فيها متحيِّرين ضالِّين لا يهتدون طريقًا[9].

---

(1) الطِّيبي، فتوحُ الغيب: 5/328.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حرم).
(3) الخليل، العين: (حرم).
(4) الرّاغب، المفردات: (حرم).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (حرم).
(6) الخليل، العين: (توه - تيه).
(7) ابن سيده، المحكم: (تَيَهَ).
(8) ابن الأثير، النّهاية: (تَيَهَ).
(9) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/167.

3) ﴿تَأْسَ﴾: أسيَ: حزن[1]، فالهمزة والسِّين والياء: أصل دالٌّ على الحزن[2]، وحقيقته: إتباع الفائت بالغمِّ، يقال: أَسَيْتُ عليه، وأسيتُ له[3]، ومعنى ﴿تَأْسَ﴾ في الآية: الحزن العميق الَّذي يُحدث همًّا وغمًّا، ومن ذلك قول امرئ القيس:

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيَّهم***يقولون لَا تهلك أسًى وتجمَّلِ[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قال الله لموسى مجيبًا دعاءه إجابة متَّصلة به: فإنَّها - أي: الأرض المقدَّسة - محرَّمة على بني إسرائيل تحريمًا فعليًّا، لا تكليفيًّا شرعيًّا، مدة أربعين سنة، يتيهون في الأرض، أي: يسيرون في برِّيَّة من الأرض، تائهين متحيِّرين، لا يهتدون إلى طريق، ولا يبقون مطمئنِّين، ولا يدرون أين ينتهون في سيرهم[5]؟ وهذه عقوبة دنيويَّة، لعلَّ الله تعالى كفَّر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها[6].

وترشدُ الآية الكريمة إلى وجوب البراءة من أهل الفسق ببغض عملهم وتركهم لنقمة الله تعالى تنزل بهم[7]، وأنَّ من لحقه عذاب الله لا يجوز أن يحزن عليه؛ لأنَّ ذلك حكمه، بل يحمد الله؛ إذا أهلك عدوًّا من أعدائه[8]، وفيها دليل على أنَّ العقوبة على الذَّنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخُّرها إلى وقت آخر[9].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

علَّة الفصل في الآية الكريمة:

فُصل الجواب، ولم يُعطف بالفاء أو الواو؛ جريًا به على طريقة متَّبعة في القرآن في حكاية المحاورات بحذف العاطف؛ كراهيَةَ تكرير العاطف بتكرير أفعال القول، فإنَّ

(1) الخليل، العين: 7/332.
(2) ابن فارس، المقاييس: 1/106.
(3) الراغب، المفردات، ص: 77.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2120.
(5) رضا، تفسير المنار: 6/277.
(6) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 228.
(7) الجزائري، أيسر التفاسير: 1/618.
(8) القاسمي، محاسن التأويل: 4/104.
(9) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 228.

شأنُ المحاورات قيامُها على ابتداءِ كلامٍ مفصولٍ عنِ السَّابقِ

المحاورة تقتضي الإعادة في الغالب، فحذفوا العاطف في الجميع[1]، فعدلوا إلى الاسْتِئْنَاف، كأنَّه قيل: فماذا قال تَعَالَى حين دعا كليمه عَلَى قومه؟ فأجيب بذلك[2].

براعة مطابقة ألفاظ الاستجابة لألفاظِ الدُّعاء:

تناسبُ ألفاظِ الاستجابةِ مع ألفاظِ الدُّعاء تشريفٌ للدَّاعي وإحقاقٌ للحقِّ

قابلَ تعالى توكيد اعتذار موسى عليه السلام وشكواه إليه ودعاءه بتوكيد استجابته بالتَّعبير الخبريِّ المؤكَّد بـ (إنَّ) والمُصَدَّر بالقول والمذيَّل بلفظ الفاسقين: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، فوقعت الإجابة على الدُّعاء مطلعًا، وختامًا، وأسلوبًا؛ دلالة على تمام الاستجابة، وصدق التَّحقُّق، فهو "جواب جامع لجميع ما تضمَّنه كلام موسى؛ لأنَّ الله أعلم موسى بالعقاب الَّذي يصيب به الَّذين عصوا أمره، فسكن هاجس خوفه أن يصيبهم عذاب يعمُّ الجميع، وحصل العقاب لهم على العصيان انتصارًا لموسى"[3].

التَّعبير عن المحرَّم من الأرض بالمجاز المُرسل:

وجْهُ المجاز المرسل تحريم دخول الأرض المقدَّسة لا ذاتها

استعمال لفظ التَّحريم في تحريم الأرضِ مجازٌ مُرسلٌ في قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأنَّ المحرَّمَ عليهم هو دخولُ الأرض المقدَّسة لا ذاتها[4]، فالضَّمير في (إنِّها) راجع إلى الأرض المقدَّسة الَّتي حرَّمها الله تعالى عليهم؛ أي: محرَّم دخولها[5].

معنى الفاء في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾:

دلالةُ الفاء على التَّسبيب؛ لترتيب ما بعدها على ما قبلها

إمَّا أن تكون الفاءُ في قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدُّعاء[6]، فلمَّا كان قول موسى عليه السلام في

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 1/401.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 7/441.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/167.
(4) الهرريّ، حدائق الروح والريحان: 7/224.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/472.
(6) أبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/25.

معنى الدُّعاء عليهم؛ وصل به قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ على وجْه التَّسبيب[1].

الفاء فصيحةٌ، على تقدير شرط مفهوم ممَّا سبق:

أو تكون الفاءُ فصيحةً، والمعنى: أنَّهم إذا كانت حالهم كذلك من الخور، وضعف العزيمة، والخوف من أعدائهم، فإنَّهم لَا يدخلون الآن لضعف بأسهم وشكيمتهم، فإنَّها محرَّمة عليهم تحريمًا واقعيًّا، لَا تحريمًا حكميًّا تكليفيًّا يتيهون في الأرض؛ أي: يكونون في الأرض تائهين متحيِّرين يضطرب عيشهم وحياتهم، ولا يستقرُّ مقامهم، بل يعيشون فرادى هائمين على وجوههم، حتَّى يتربَّى البأس في قلوبهم[2].

الوقف التعانقي وما يترتَّب عليه من معنًى:

عـقـوبـةُ التِّـيـه تمنع من دخولِ الأرضِ المقدَّسة تأبيدًا أو توقيتًا

إن جُعل قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ﴾: ظرفًا لـ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾؛ يكون التَّحريم مؤقَّتًا لا مؤبَّدًا، فلا يكون مخالفًا لظاهر قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 21]، فالمراد بتحريمها عليهم: الإخبار بأنَّه لا يدخلها أحدٌ منهم في هذه المدَّة، لا بمعنى: أنَّ كلَّهم يدخلونها بعدها، بل بعضهم ممَّن بقي منهم، أو من ذرِّيَّاتهم[3]، فإذا كان الوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ تكون الأرض المقدَّسة مُحرَّمةً عليهم إلى الأبد، وبعد ذلك يأتي أمر الله بعقابهم في التِّيه: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أمَّا إذا كان الوقف على لفظ: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾؛ فيُفهم أنَّ مدَّة العقوبة لهؤلاء القوم الفاسقين أربعون سنة في التِّيه، وبعدها يدخلون الأرض المقدَّسة[4].

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2119.

(3) أبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/25، وينظر: البحر المحيط: 4/223، والقِنَّوجي، فتح البيان: 3/388، و3/393.

(4) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 5/3066.

حكمة التَّوقيت بأربعين سنة:

أربعون سنة كافيةٌ لذهاب جيل الذُّلِّ ومجيءِ جيلِ العزَّة

حُدِّدَ توقيت التِّيه بأربعين سنة؛ لأنَّ أبناء هذا الجيل الَّذي كان منه هذا العناد والضَّلال سيموتون، فلا يرى أحدٌ منهم الأرض المقدَّسة، ومن رآها منهم ممَّن امتدَّ عمره؛ فإنَّه يراها في شيخوخة واهية، فلا ينتفع بخيراتها، ولا يُنشئ له حياة فيها[1].

فهي مدَّة استيفاء حظوظ النَّفس الأمَّارة، وانكسار سَوْرَةِ قواها في الأغلب، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: 15][2].

وجه الجمع بين كتابة الأرض المقدَّسة لبني إسرائيل وتحريمها عليهم:

ما يكتبه الله لعبادِه يأتي اختيارًا منهم للطَّاعةِ، لا جبرًا

لسائلٍ أن يسأل عن وجه الجمع بين قوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وبين تحريمِ هذه الأرض على بني إسرائيل؟ والجوابُ من وجوهٍ:

أحدها: أن يُراد كتابتها لهم بشرط أن يجاهدوا أهلها، فلمَّا أبوا الجهاد، وتلقَّوا نعمته بالرَّدِّ والكفران، وشُؤْم التَّمرُّد والعصيان؛ حرَّمها عليهم[3].

الثَّاني: أن يراد فإنَّها محرَّمة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون؛ كان ما كتب لهم[4].

الثَّالث: كتب الأرض المقدسة لهم بشرط دخولها؛ فهي لهم[5].

الرابع: أنَّ اللَّفظ؛ وإن كان عامًّا، لكنَّ المراد منه الخصوص، فصار كأنَّه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم[6].

وجه الاستئناف في ﴿يَتِيهُونَ﴾:

على القول بأنَّ الوقفَ على ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ﴾ فإنَّ قولَه: ﴿يَتِيهُونَ﴾

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 3/1071.
(2) النّيسابوري، غرائبُ القرآن: 2/576.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/622.
(5) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/314.
(6) الخازن، لباب التأويل: 2/31، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/469.

استئنافٌ، وهو بيانٌ لكيفيَّة حِرْمانهم، وجواب لمن تشعَّب فكره في تعرُّف حالهم في هذه الأربعين، ومحلُّهم من الأرض[1]، وتركهم في التِّيه من غير زيادة تبيِّن حالته.

حـــرمـــانُ بـنـي إسـرائـيـل من الأرض المقدَّسة كان تيهًا وضياعًا

نكتة التَّعبير بصيغة الفعل المضارع:

ناسب التَّعبيرُ عن التِّيه بصيغة المضارع الدّلالةَ على ديمومته وتجدُّده، فهو تيهٌ متجدِّدٌ على مدى أربعين سنة، وهم يجدون غصَّته وآلامَه طوال هذه المدَّة لا ينقطع، ويتضمَّن هذا التَّعبير أنَّ القوم لا يتوقَّفون عن البحث عن المخرجِ طول المدَّة، وهذا يدلُّ على أنَّهم تابوا وأنابوا واعترفوا؛ لذلك بحثوا وفتَّشوا عن طريقِ الخلاصِ ممَّا هم فيه، حتَّى أذِنَ الله لهم بالخروجِ إلى العزَّةِ والنَّصرِ.

التَّائه الباحثُ عن المخرجِ تائهٌ تائبٌ عائدٌ إلى الحقِّ

معنى التَّعريف في لفظِ الأرضِ:

تعريف الأرض يراد به التَّعريف العهدي، وبقطعِ النَّظر عن اختلافِ المفسِّرين في تحديدِها فهي معهودةٌ لدى المخاطَبين يعلمونها.

توجيهُ وصفِ الأرضِ بالمقدَّسةِ:

وُصفت الأرضُ بالمقدَّسة؛ أي: المطهَّرة، لسكنى الأنبياء المطهَّرين فيها، فشُرِّفتْ، وطُهِّرتْ بهم، فالظَّرف طاب بالمظروف.

معنى الفاء في قولِه: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾:

الفاء في قولِه: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تُفصِح عن محذوفٍ يُفهم من السِّياقِ، وتفيد بيان سببه؛ لكونها ذُكرت بعد الأوامر والنَّواهي بيانًا لسبب الطَّلب، وكمال حسنها وفصاحتها؛ كونها مبنيَّة على التَّقدير، منبئة عن المحذوف[2]، وتقديره في الآية: إذا عرفت هذا يا موسى فلا تأسَ[3].

الـــفـــاء هـي الـفـصـيـحـة، تـفـصـح عـن المحذوف، وتبيِّن السبب

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 6/79، وأبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/25.
(2) السّيوطي، نواهد الأبكار: 3/253.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/449.

بلاغةُ خطابِ الأنبياءِ السَّابقين في اللَّاحقين:

خطـابُ مـوسى عليه السلام صراحةً هو تسليةٌ لمن بعده وإرشاد

قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ خطابٌ لموسى عليه السلام صراحةً، وهو خطاب للنَّبيِّ ﷺ إشارةً؛ تسلية له بأنَّ المخالفة على الأنبياء عادة الفَسَقَة في كلِّ زمان، وتذكير له بالنِّعمة على قومه بالتَّوفيق، وترغيب لمن أطاع منهم، وترهيب لمن عصى[1].

توجيه المتشابه اللَّفظيّ:

مـن بـديع نظم القـرآن مناسبة الـفـواصـل لما قبلها

ختم هنا بقوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، وختم بقوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [المائدة: 68]؛ ليناسب ما قبله من الكلام: فالآية الأولى سبقها قوله تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]، أمَّا الآية الثَّانية؛ فسبقها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: 67]، وقوله في الآية نفسها: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾ [المائدة: 64]، فناسب كلٌّ فاصلة سياقَ ما سبقها.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأسى، والبثّ، والحزن، والغمّ، والحسرة، والأسف:

الأسى: اتِّباع الفائت بالغمِّ، فالأسى يميِّزهُ الامتزاج بين الحزن، والغضب، فضلًا عن ملمح الشِّدَّة، وهو الحزنُ الشَّديدُ على ما فات، قريبًا أو بعيدًا.

الحزن: ما أخفاه، وهو غِلَظُ الهمِّ المخفيِّ، ويكون على شيءٍ قريبٍ.

البثُّ: ما أبداه الإنسان من حزن، والبثُّ: يميِّزه ملمح الظُّهور، والإفضاء بمكنون النَّفس إلى الآخرين، وبذلك فالبثُّ أشدُّ الحزن؛ لأنَّه ينْبَثُّ ولا ينكتم، ويُعلَنُ، ولا يُصْبرُ عليه[2].

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/322، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/103.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 267.

الغمُّ: الكربُ الشَّديد الثَّقيل، وأصله: التَّغطية والإطباق، ومنه غُمَّ الهلالُ، أي: لم يتبيَّن، وحال دون رؤيته غيمٌ يحجبه[1]، ويميِّزه ملمحُ الإطباق؛ أي: ثقلُ الحزن على نفس صاحبه، حتَّى يشملَه، فيكاد يغطِّيه[2].

الْحَسْرَة: غمٌّ يَتَجَدَّد لفوت فَائِدَة.

الأسف: حسرة مَعهَا غضب أَو غيظ، والآسف: الغضبان المتلهِّف على الشَّيْء، ثمَّ كثر ذَلِك، حَتَّى جَاءَ فِي معنى الْغَضَب وَحده[3].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غمم).
(2) محمد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 53.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 267.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»